يغازل الحجر يومياً بلهفة العاشق الولهان

الفرد بصبوص:
النحت حبّ وايمان وقليل من... الجنون!

لا تسل اين هي راشانا، لأن هذه القرية الصغيرة التي لا يتعدى عدد منازلها الـ٥٠، تطل برأسها لوحدها مستقبلة الزائر بمنحوتاتها البادية من بعيد والمعلقة كميداليات في فضاء الطبيعة الشمالية الخضراء. ولا لزوم لأن تسأل عن منزل الفرد بصبوص، فحيث يرتع الفن يوجد الفنان. تدخل في "مفرق" صغير الى الشمال، وتسلك الطريق الضيقة حيث يحتفي بك شجر اللوز، ومنحوتات رائعة يشتت جمالها تركيزك في القيادة، لكنك تستدرك وقد انبأك حدسك انك وصلت منزل الفرد بصبوص، الذي تعرفه من كثافة منحوتات تملأ باحته الخارجية.

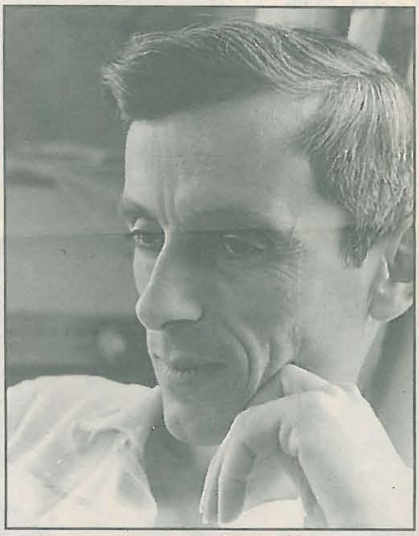

الفرد

شجرة ارز عملاقة تشمخ عند المدخل، تحتها رجل ناحل يرتدي ثياب العمل، ويتطاير شعره الابيض في الهواء ويحنو على منحوتة حجرية يتلمسها بيديه الناعمتين والصلدتين في آن واحد. كل يوم باكراً، يتواعد الفرد بصبوص مع منحوتاته المزروعة في متحف خاص من طبقتين وفي الباحة الخارجية لمنزله الحجري، فضلا عن "البارك الدولي للنحت" قبالة المنزل. منذ ٤٥ عاما وابن السادسة والسبعين يحاكي مواد الطبيعة ويغازلها وتلامسها يداه بشغف العاشق، فتطلع من بينهما منحوتات متحركة تنبض عواطف وافكارا واسئلة. يتطلع اليك، فترى وجها اسمر طويلا كوجه منحوتة، لكنه وجه حيّ يبتسم لك مرحباً داعيا اياك الى فنجان قهوة. تطالعك في بداية الحديث مع الفرد بصبوص مرارة يصعب عليه اخفاؤها، خلّفها موت ابن اخيه ادونيس في حادث سيارة منذ عامين. تدمع عيناه وترتجف يداه، لكنه يتمالك نفسه محاولا بلسمة جرحه بالحديث عن "السمبوزيوم الدولي السنوي" الذي طالما شاركه ادونيس في تنظيمه منذ العام ١٩٩٤. السمبوزيوم هذا العام بعنوان "اليسار"، ويمتد من ٢٥ آب حتى ١٠ ايلول، ويصرّ بصبوص على تنظيمه رغم الصعوبات المادية (يكلف زهاء ٦٠ الف دولار) فقد بات تنظيم السمبوزيوم لديه كتنفيذ وصية احباء رحلوا، ولا سيما وصية اخيه ميشال الذي اراد راشانا ورشة نحت دائمة. بفضل هذا السمبوزيوم اعلنت "الاونيسكو" راشانا قرية عالمية للنحت عام ١٩٩٧، لكن شهرة البصابصة واعمالهم كانت سبقت هذا التاريخ بأعوام ولامست حدود العالمية.

وألفرد احد ثلاثة. فهو شقيق ميشال "مؤسس حركة الفن التشكيلي الحديث في مجال النحت كوارث مباشر ومتجاوز ليوسف سعدالله الحويك" على ما وصفه يوسف الخال، وشقيقه الثاني هو يوسف الذي مثّل لبنان قبل عامين في "اولمبياد النحت" في سيول – كوريا الجنوبية. واعمال "البصابصة" موجودة في متاحف العالم. وفي كاتالوغ متحف رودان نجد اعمال ميشال والفرد الى جانب اعمال هنري مور وزادكين وستالي وكولاماريني وسيزار وأدان وماكس بيل، وشهرتهم العالمية بلغت موسكو واليابان ومتاحفهما، واعمالهم ادهشت اندره مالرو في متحف الفن الحديث في باريس، اما الصحافة العالمية فواكبت منحوتاتهم حول العالم، وكتب احد النقاد واصفاً اياها بأنها "ابعد من لبنان وراشانا تشع مع العالم وتمنح الشرق حجما فنيا يساوي ساعاته الكبيرة التي يحياها".

طفولة مشتّتة

والد الفرد بصبوص الخوري شكرالله بصبوص، الذي خالف رأي والده وتزوج رافضاً احتمال ان يكون مطراناً وهو لو لم يفعل لما عرف لبنان ثلاثة مبدعين: ميشال، الفرد ويوسف. ولد الفرد في ١٩ نيسان عام ١٩٢٤ "يوم سبت النور". والده شكرالله هو كاهن وخطاط بارع، ووالدته تدعى مرتا، لديه ثلاثة اشقاء: ميشال، قبلان ويوسف وشقيقة واحدة اسمها ماري.

عاش الفرد بصبوص طفولة مشتتة وغير مستقرة، اذ لا يكاد والده يمضي سنة في خدمة رعية حتى ينتقل الى اخرى. مكذا تنقّل من مدرسة الى غيرها، مما جعله اليوم ينسى معظم الاماكن التي درس فيها: "لم احيا فرح ولد يعيش في بيئته ومحيطه وبين ابناء قريته، ولما توفي والدي لم اكن تجاوزت الـ ١٣ سنة، فمثّل لي اخي ميشال الذي يكبرني بـ ٣ اعوام الاب والاخ والصديق والمعلم".

وعى الفرد بصبوص حبه للفن مع بلوغه الـ ٥ اعوام، يقول: "ولدت في هذا الكون مرتين: الاولى من بطن امي والثانية على صوت قلم الفزار الذي كان والدي يستخدمه لمخطوطاته".

لم يكن ميشال قد جاوز الخامسة عشرة من عمره عندما انجز مذبح كنيسة الضيعة، ونفذ مذبحا لدير مار يوسف في قرية جربتا من الرخام الايطالي فذاع صيته في المنطقة. وكان الفرد يساعده في صقل بعض التماثيل، وتعلم منه زمل حجارة الرخام

ينحت في محترفه (١٩٦١)

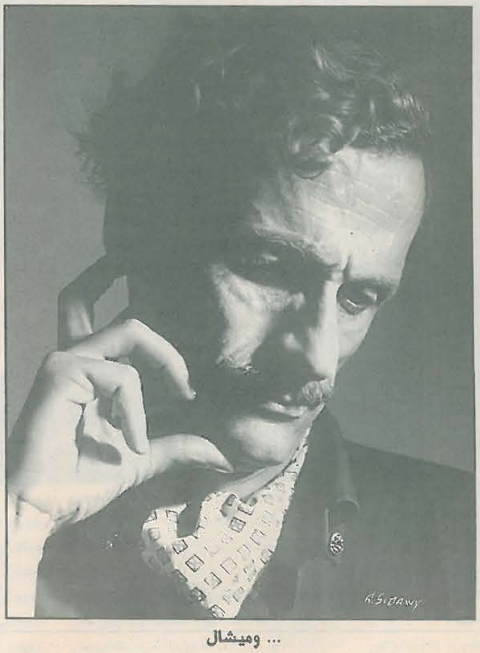

... وميشال

وتقطيعها: "ولم يمض وقت على دخول الجيوش الانكليزية البلاد، حتى باشرت مدّ شبكة خطوط القطار الحديدية فعملت معها. ثم انتقلت بعد عامين للعمل في بناء ثكنة للجيش الانكليزي في منطقة الكورة، وقدّر لشقيقي ميشال ان يلتحق بالاكاديمية اللبنانية، فتابعت معه دراسة الفن بين الحين والآخر، اذ ساعدته في تنفيذ بعض الوجوه على الحجر. ثم سافر ميشال بمنحة الى باريس، فعدت الى عالم البناء والتزام اعمال خاصة اقتصر معظمها على العمل في المقلع والحجارة والنحت".

يتابع الفرد بصبوص: "لم اعتقد اني سأنجرف في طريق الفن، الى ان كان يوم رميت فيه الشاقوف عن "السقالة" وطلبت من احد العمال ان يجلب لي صخرا كبيرا من المقلع جعلته ارنبا اكبر من حجمه الطبيعي. وعندما مر احدهم من امام بيتنا نده "الخورية" ليعلمها ان الارنب فالت من قفصه! عندها وعيت موهبتي وقدرتي على نسخ الاشياء وصرت انحت الحيوانات".

"بدك تجوع وتتبهدل"

اللافت ان شقيقه ميشال لم يشجعه البتة على خوض مجال النحت "بل نبهني الى ان طريق الفن وعرة قائلا لي: "بدك تجوع وتتبهدل". ويشرح الفرد خلفية كلام شقيقه قائلا: "عانى ميشال كثيرا، فهو كان يدرس في "الألبا" وينام سرا، لحاجته، على فراش الموديل وكان اسمها مريم. مرة رآه رئيس "الالبا" الكسي بطرس فسأله عما يعمل فاعترف له بفعلته فتركه". ويردف: "شعرت احيانا كثيرة بالجوع لكن حماستي لم تضعف. وبعدما انجزت زهاء ٣٥ منحوتة قال لي ميشال: يجب ان تنظم معرضا. ولما ترددت متذرعاً بأنني لست معتادا على مخالطة ابناء المجتمع البورجوازي اقنعني بقوله انني اقوى منهم كلهم!".

لم يمض شهران على ثورة عام ١٩٥٨ حتى نظم الفرد بصبوص معرضه الاول في "غاليري اليكو صعب" في ساحة الوردية – الحمراء، وحضرت شخصيات البلد وفي مقدمها زلفا شمعون. وبيعت المنحوتات في الليلة الاولى، وكتبت الصحف في اليوم التالي: "ولد رودان الثاني". والطريف ان الفرد بصبوص لم يكن يعرف من هو رودان، فاشترى كتباً عن النحت وراح يقرأ حتى تعرف اخيرا الى رودان! بعد نجاحه الباهر، قدمت له الحكومة الفرنسية منحة للدراسة في باريس، ورافقه: ليلى البعلبكي وادونيس وأحد عازفي البيانو الارمن: "في باريس قصدت "المدرسة الوطنية" حيث يعمل المبتدئون، وسرعان ما ارسلت الى مشغل كوللا ماريني حيث انجزت ٢٣ تمثالا في ٩ اشهر، حين كان التلاميذ ينجزون تمثالا او اثنين سنويا. فجن جنون كوللا ماريني الذي قال لي: "ستضطرنا الى فتح مقلع جديد في باريس اذا كنت ستنجز منحوتة كل يومين... براڤو".

وطلب له كوللا ماريني منحة قدرها ٦٠٠ فرنك عوضا عن ٢٠٠، عارضا عليه البقاء والعرض دائما في باريس: "لكن الحنين الى بلدي كان اقوى مني فعدت ونظمت معارض في "غاليري اليكو صعب" و"غاليري وان" ليوسف الخال".

صوب العالمية

بعد ذلك، اراد الفرد بصبوص التحليق في فضاء العالمية. وتعرف اثناء تنظيمه معرضا عام ١٩٦٤ في "السان جورج" حضرته وجوه لبنانية، منها كميل شمعون وريمون اده، الى شخص من "الاونيسكو" اوصله الى العرض مع اخويه في "الهال" في باريس: "كان بيكاسو يعرض في الصالة السفلى ونحن في العليا. كان عنوان معرضنا "اسكن المنحوتات"، ويضم ١٩١ منحوتة واذكر ان تعرفة الدخول عند بيكاسو كانت ١٥ فرنكا، اما عند بصبوص وبيكاسو فبـ ٢٥ فرنكا".

وكرّت سبحة المعارض العالمية فتنقلت لوحاته بين فرنسا وبلجيكا وانكلترا وسويسرا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي واليابان والمملكة العربية السعودية والكويت وسواها من البلدان. واثناء رحلاته تعرّف الفرد بصبوص الى كبار النحاتين، لكنه لم يتأثر بأحد. اما لبنانيا، فعرف رائد النحت اللبناني، ابن منطقة عورا يوسف سعدالله الحويك: "كان صديقا كبيرا لأخي ميشال، الذي طالما استأجر شخصا لديه حمار وزاره في ضيعته. كان يوسف رجلا طريفا، ذكيا، ومثقفا لكنه ضعيف السمع ينزعج جدا من التدخين".

موت ميشال

ان موت الشقيق الاكبر ميشال اثر مرضه عام ١٩٨١ صعق الفرد بصبوص وأثر عليه عميقا: "كنت تزوجت قبل موته بعامين، وشعرت عندما مات ان وجودي انتهى، وكثيرا ما فكرت بالانتحار وكانت زوجتي تثنيني عن ذلك، ولم اتراجع عن الفكرة الا بعدما قرأت جملة ارسلها لي الشاعر رياض فاخوري فيها: ان رحيل ميشال هو تحدٍ لك".

تتميز منحوتات الفرد بصبوص بانحناءات الامومة الدالة على العاطفة والحنان والحضانة. والنحت بالنسبة اليه هو "صخرة يخلقها الفنان ويكونها مجدد"، اما الوحي فيعتبره "كالسارق الذي يدخل المنزل بلا استئذان" وبالتالي لا احد يدرك متى يأتيه الوحي للنحت. يؤكد الفرد بصبوص ان لا اهمية للمواد التي يختارها: "لا يفرض الموضوع مواداً معينة، لكنني اتحاشى وجود فراغ في الحجر القاسي جدا". وهو يفضل الحجر اللبناني على كل الحجارة التي عمل بها، ويصف علاقته به بـ"الخاصة". لم يدخل الفرد بصبوص يوما "جمعية الفنانية اللبنانيين للرسم والنحت": "لم يشجعني اخي ميشال على ذلك، واحببت بدوري ان أبقى بعيداً من صراع الجمعيات". اما دراسة النحت في رأيه فليست مهمة: "اذا ارسلت شخصا حاملا دكتوراه في النحت الى باريس يعود حمارا وقد نسي كل ما درسه، الموهبة هي الاساس في النحت". اما العلاقة بين المسرح والنحت فيلاحظ انها موجودة في الحركة التي تجمع بين المنحوتة وحركة الجسد على المسرح. ويعد باحياء المسرح الاختباري الذي انشأه شقيقه ميشال في راشانا عام ١٩٥٨: "لتكون راشانا ورشة نحت وفن دائم كما حلم دوما اخي ميشال".

واخيرا يوجه الفرد بصبوص كلمة الى الشباب اللبناني الذين يهوون النحت قائلا لهم: "التزموا النحت كعمل فني وليس كتجارة. النحت رسالة طريقها شاقة وصعبة ولا يحتاج الشخص لينجح فيها الا الى حب وايمان، والى قليل من الجنون...".

مارلين خليفة

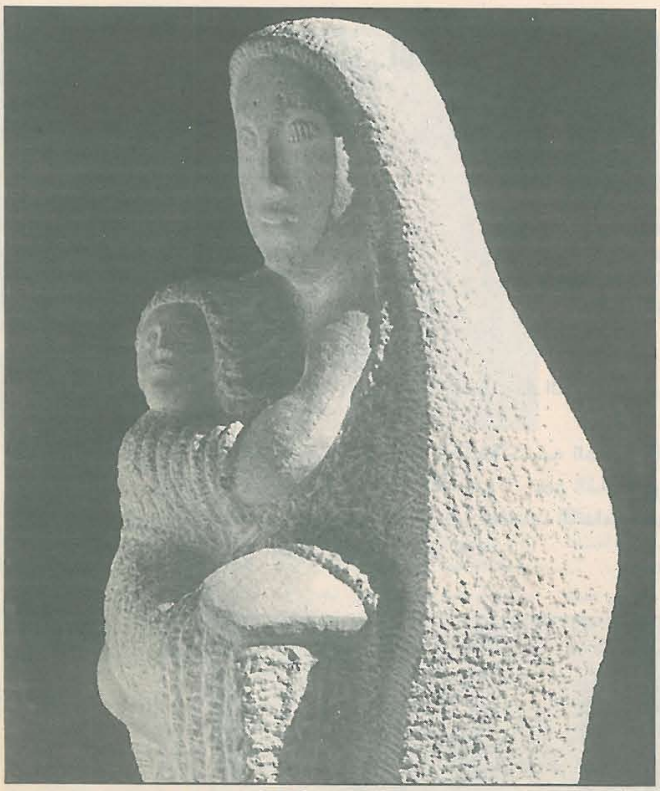

العذراء مريم (١٩٧٨)

مع زوجته ماري

بين منحوتاته في راشانا

منحوتة "البدوية"